مبادئ العقيدة

بين

الكتاب المقدس

والقرآن الكريم

اعداد

سعيد اسماعيل

دار المجتمع

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

دار المجتمع للنشر والتوزيع

الإدارة ٦٨٩١٤١٧
جدة: ميدان الجامعة - ص.ب: ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت المكتبة ٦٨٩٤٤٦١
الخبر: شارع الأمير نايف - ص.ب: ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦

مبادئ العقيدة

بين

الكتاب المقدس

والقرآن الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستهديه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم عليه وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد - قد يدور في خلد أحدنا أن هذه الحياة بما فيها من مآس وظلم وجور هي قصة كاملة ليس لها بقية. يولد البعض من بطون أمهاتهم ليتمتعوا بنعمة الذكاء والثراء بينما يولد آخرون ليشقوا بالغباء والفقر. ليس هذا فحسب بل يقع فيها البعض ضحايا ظلم الآخرين فلا يطال الظالمين عقاب. يسترخي البعض معتمدين على حظوظهم الطيبة ويشقى البعض غارقين في حظوظهم السيئة. هل فعلاً هذه الحياة قصة كاملة ليس لها بقية؟

وإن كان البعض قد يعتقد أن هذه الحياة هي قصة كاملة فإن الأمل أن لا يكون هذا هو اعتقاد الإنسان السوي العاقل الذي يمثل السواد الأعظم من الناس. فمن يعتقد في ذلك لا محالة إنسان تخالجه فكرة الانتحار أو لا يرى مانعاً في زيادة نصيب الآخرين من التعاسة ليحقق لنفسه أقصى حدود السعادة.

ولعل رجال الدين الصادقين - مهما كانت دياناتهم - هم آخر من يعتقد في ذلك. لهذا فإن الغالب أن أكثر هؤلاء تديناً هم أكثرهم حرصاً على سعادة الآخرين في هذه الحياة، وفي الدار الآخرة خاصة.

لقد كان الحافز الأول لإعداد هذا الكتيب هو تلك الجهود الصادقة التي يبذلها رجال ونساء مخلصون من مسيحيين ومسلمين، وخاصة أولئك الذين يتفانون في تحمل المشاق لإقناع البشرية بما يعتقدون أنه السبيل الصحيح للفوز بالسعادة في الدارين.

إن هذا العمل ليس إلا إضافة متواضعة إلى تلك المساهمات الجبارة للرجال والنساء المخلصين. ويهدف إلى مساعدة ذوي الأذهان المتفتحة في اختيار أفضل الوسائل لنيل الفوز في هذه الدنيا والحياة الآخرة. ومع هذا فإنه قد يجرح مشاعر أولئك الذين يعتقدون بصدق أن العقائد ليست

لها علاقة البتة بالفطرة وبالعقل.

وقد انصب اهتمام هذا الكتيب على المبادىء الأساسية في مسيحية اليوم وفي الدين الإسلامي. وينطلق النقاش فيه من حقيقة واحدة هي أن المبادىء الأساسية للدين الصحيح يجب أن تكون موافقة للفطرة السليمة ومعقولة لدى الإنسان العادي البسيط.

صحيح أن هناك أشياء غامضة أو غيبيات في كل ديانة يجب أن يتقبلها الإنسان بالقلب طالما أنه قد قبل تلك الديانة منذ البداية. وصحيح أنه بالإمكان زراعة العقائد في النفوس مهما كانت غريبة في سن الطفولة وفي الكبر بالإغراء أو الوعيد أو الاثنين معاً. ولكن في الغالب يستعيد الإنسان فطرته واستقلاله عندما يتمكن من التحرر فكرياً. لعل المثال التالي يوضح بجلاء أهمية خضوع المبادىء الدينية الأساسية للمنطق السليم والفطرة.

افترض أن شخصاً ما أخبرك بأنه قد زار قصراً معلقاً بين السماء والأرض. لا يسنده شيء من فوقه أو تحته أو من أي جانب من جوانبه، ثم أخذ يقص عليك بعض المغامرات الغامضة له في ذلك القصر مع بعض المغامرات الأخرى التي بدت معقولة. فهل تصدق قصصه الغامضة قبل أن تصدق وجود مثل هذا القصر الذي وصفه لك؟ لعل من الصعب أن

تصدقه أولاً في وجود مثل هذا القصر فكيف بتصديق مغامراته الغامضة ولعل أحداً لن يلومك على اتخاذ مثل هذا الموقف. أما لو كان وصف القصر معقولاً فلعل موقفك يختلف من المغامرات الغامضة فيه.

لهذا فإن أي ديانة أو عقيدة تتطلب من الإنسان غير المؤمن بها تقبل مبادئها بمجرد القلب رغم تعارضها مع المنطق فإنها ديانة خاصة بمجموعة معينة ولا تستحق أن تكون ديانة عالمية متاحة لكل الناس. ليس هذا فحسب ولكن الثقة فيها سرعان ما تتبدد عند معارضتها بالمنطق السليم ومقارنتها بالفطرة.

وعلى العكس فإن الديانة التي تتفق مبادئها مع العقل السليم والفطرة فإنها تحتفظ بمكانتها رغم ما قد تثيره حالة أدعياء المنتمين إليها من شكوك حول أبعادها العملية.

فمبادىء الدين الصحيح يجب أن لا تتعارض مع الفطرة السليمة ومنطق التفكير السوي، وعادة لا تظهر أبعادها العملية إلا بالالتزام الكامل لتعاليمها. أما إذا كان الأمر غير ذلك فإن الدين يعطي انطباعاً بأن بعض الناس محرومون بالخلقة من الهدي الإلهي وأن الفرصة ليست متكافئة بين الناس حتى لنيل السعادة في الحياة الآخرة وهي الحياة الأبدية.

والكتيب بشكل عام محاولة للمقارنة بين ما يحتويه الكتاب المقدس والقرآن الكريم حول المواضيع التي تمثل المبادىء الأساسية للديانتين. لما كان الله هو المرجع المطلق للمسيحية والإسلام فإن صفات الألوهية أول ما يناقشه هذا الكتيب ويلي ذلك مناقشة الكتب المقدسة، وحقيقة النبي عيسى والحساب وصفات الأنبياء، وحقيقة النبي محمد ثم الخاتمة.

على أنه يجب ملاحظة أن الكتيب لم يخطط له الاحتواء على كل المناقشات التاريخية والفلسفية والمنطقية. وعلى العكس فإن هذا الكتيب المختصر جداً لا يفترض فيه إلا أن يثير بعض التساؤلات عند القارىء حتى يبدأ في البحث عن الطريق السوي للفوز في الحياة الأبدية قبل فوات الأوان.

ولا يملك الكاتب إلا أن يعترف بالشكر لكل من ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنجاز هذا الكتيب ويخص بالذكر الأخ أحمد سيف الدين تركستاني والأخ عبدالرحمن الشمراني لمراجعتها النسخة العربية. والشكر والمنة لله من قبل ومن بعد.

١٣ شوال ١٤٠٥هـ
الموافق ١ يولية ١٩٨٥م

صفات الألوهية

إن معظم المسيحيين يؤمنون بعقيدة الثالوث بطريقة أو أخرى. ولكن الكاثوليك خاصة يعتبرون عقيدة الثالوث جزءاً لا يتجزأ من صفات الألوهية. والأبعاد الثلاثة للإله عند المسيحيين هي الأب والإبن (عيسى) والروح القدس[1] إذ يقول الكتاب المقدس: إن عيسى عقب موته وبعثه قال: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس»[2]. ومن بين صفات المعبود أنه يندم ويتوب عندما يتخذ قراراً ويترتب عليه نتائج لم تكن في الحسبان مثل ندمه على جعل شاوول ملكاً على بني إسرائيل[3]، وتحسُّره على خلق الإنسان[4]، وتأسُّفه على إرساله الطوفان «وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل

---

(١) يوحنا ١:١ - ١٤؛ يوحنا ٣:١٧؛ متى ٢٦:٦٣-٦٤.
(٢) متى ٢٨ : ١٩.
(٣) صموئيل الأول ١٥:١٠، ٣٥.
(٤) تكوين ٦:٦.

الإنسان.. »[1] والمعبود، حسب الكتاب المقدس، ينسى «.. وأنا أيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي »[2] لهذا فهو يحتاج إلى قوس قزح ليذكِّره[3].

والرب يصيبه النصب، «فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل »[4].

والرب يتصارع مع النبي يعقوب طوال الليل ثم يرغمه يعقوب على مباركته[5].

أما في الإسلام فالاعتقاد بإله واحد يمثل حجر الأساس الذي يقوم عليه الدين كله، ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ، وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَد ٱفْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[6] كما يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ ٱلصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ. وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[7].

ويؤكد الله تعالى في القرآن أن العلم كله لله وأنه سبحانه ﴿لا يَضِلُّ وَلاَ يَنْسَى﴾[8]. ولعل آية الكرسي من خير ما يصف

---

(١) تكوين ٨:٢١.
(٢) خروج ٦:٥.
(٣) تكوين ٩:١٣ - ١٦.
(٤) تكوين ٢:٢ - ٣.
(٥) تكوين ٣٢: ٢٤ - ٣٠.
(٦) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.
(٧) سورة الإخلاص: ١ - ٤.
(٨) سورة طه: ٥٢.

تفرده بالحول والقوة والعلم إذ يقول تعالى:[1]:

﴿ٱللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلقَيُّومُ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوات وَمَا فِي الأَرْضِ، مَن ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِما شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

عند مقارنة المفهومين الذين يرسمها الكتاب المقدس، والقرآن الكريم للمعبود، لا نجد صعوبة في إدراك المفهوم الإسلامي ولكن نجد صعوبة كبيرة في إدراك المفهوم المسيحي لأنه يطرح عدداً من الأسئلة.

مثلاً، هل الثالوث ليس إلا صورة من عقيدة تناسخ الأرواح ولكنها محدودة بأشكال ثلاثة؟ هل المعبود أو الإله أسرة تتألف من ثلاثة أفراد يعتمد بعضها على بعض؟ وإذا كان المخلوق قد يعصي الرب فما بال «الإبن، خاصة وأن نصفه إنسان ورث الخطيئة عن آدم حسب عقيدة الثالوث؟.

ويعلق القرآن الكريم على عقيدة التعدد بقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿مَّا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٢.

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلٰهٍ، إذاً لذَهَبَ كُلُّ إِلٰه بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

ثم نتساءل أليس أفضل معيار للتمييز بين الخالق والمخلوقين هو أن الله واحد لا شريك له وهو الصمد الغني المستقل استقلالاً تاماً بينما المخلوقات يعتمدون على الله ثم على بعضهم البعض؟.

وبصرف النظر عن توثيق كل كلمة في الكتاب المقدس وعن مطابقتها للحقيقة أو عدم مطابقتها، نتساءل هل كلمة «الإبن» تعني دائماً وعلى وجه التأكيد الإبن المولود للقائل «إبني»؟ فماذا عما ورد في الكتاب المقدس «أنتم أولاد للرب إلٰهكم»[2] و«إسرائيل إبني البكر»[3]؟ وهل كلمة الأب تعني أبداً وبالتأكيد الأب الوالد للإبن؟ فماذا نقول في قول المسيح: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم»[4]؟ وماذا عن اللقب الديني المسيحي «أبونا»؟ وإذا كانت هذه الكلمات لا تشير بالضرورة إلى علاقة الدم بين المخلوقات بعضهم البعض فلِمَ تشير إلى علاقة الدم بين الخالق ومخلوقه؟.

---

(١) سورة المؤمنون: ٩١.
(٢) تثنية ١٤: ١.
(٣) خروج ٤: ٢٢.
(٤) يوحنا ٢٠: ١٧.

والحقيقة أن الكتاب المقدس نفسه يشير كثيراً إلى وحدانية الله في مواضع مختلفة[1].

• • •

(١) خروج ٢٠:٣؛ تثنية ٦:٤؛ أخبار الأيام الثاني ٦:١٤؛ متى ٢٣:٩؛ مرقس ١٢:٢٩، ٣٢.

الكتاب المقدس والقرآن الكريم

كتاب المسيحيين المقدس يتألف من العهد القديم والعهد الجديد. ويشمل العهد القديم توراة موسى ومزامير داوود وتعاليم رسل آخرين. ويكوّن ثلاثة أرباع الكتاب المقدس بزيادة قليلة أو نقص يعتمد ذلك على الطبعة أو النسخة التي يشير إليها القارىء.

أما العهد الجديد فإنه يتألف من إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل وعدد من الرسائل ورؤيا يوحنا وجميع أسفارها سبعة وعشرون سفراً. ويقسم الكتاب المقدس إلى أسفار، والأسفار إلى إصحاحات، والإصحاحات إلى أعداد وأرقام الآيات.

وتشمل الرسائل ما كتبه بولس الرسول إلى أهل نواحي عديدة يقول إنه لم يتعلمها من أحد ولكن تلقاها وحياً مباشراً من المسيح عقب صلبه وبعثه[1]. وتكوّن رسائله حوالي ثلث العهد الجديد.

---

(١) إلى أهل غلاطية ١١:١ - ١٢.

ويُعتقد أن أسفار العهد القديم بدأت تظهر مكتوبة قبل القرن الثامن قبل الميلاد ولكن لم يتم تجميع أسفار التوراة في مجلد واحد سوى في نهاية القرن الرابع الميلادي في أورشليم القدس، كما أن أقدم مخطوطات العهد القديم لم تكن بالعبرية، لغة النبي موسى، ولكنها كانت الآرامية والإغريقية واللاتينية القديمة التي لا تستعمل اليوم هي أيضاً وتعود أقدم مخطوطة للعهد القديم وهي قمران البحر الميت إلى ما بين ٧٠ ق.م-١٧٠ ميلادية وهي باللغة العبرية البائدة.

وعدد أسفار العهد القديم يتراوح بين ٣٩ - ٥٤ مع اختلاف بسيط في ترتيبها اعتماداً على النسخة التي يعود إليها القارىء.

«وفيما عدا بعض القصاصات المتناثرة والتي وجدت مكتوبة على أوراق البردى فإن العهد الجديد لم يظهر مكتوباً إلا قبل القرن الرابع الميلادي»[١]. وبقيت جميع تعاليم الإنجيل وقصصها شفوية حتى عام سبعين ميلادية. ومعظم نصوص العهد الجديد لم يتم كتابتها إلا حوالي المائة وأربعين ميلادية. ولعل رسائل بولس الرسول هي أقدم ما تم كتابته من نصوص العهد الجديد[٢].

---

(١) بارتريدج صفحة ٧ - ١٨.
(٢) بارتريدج صفحة ١٣.
(٣) بارتريدج صفحة ١٣.

ومع أن لغة التعاليم كانت الآرامية فإن النصوص الكاملة للعهد الجديد لم تظهر إلا باللغة الإغريقية[1].

والحقيقة أن ما ورد آنفاً من تواريخ تدوين العهدين القديم والجديد هو على وجه الافتراض لا التأكيد إذ أن معظم نصوص العهد الجديد لم يظهر مكتوباً قبل نهاية القرن الأول للميلاد[2]. كما أن بعض أجزاء العهد الجديد بقيت غير رسمية حتى القرن الخامس[3]. ومنذ بداية القرن الخامس الميلادي كانت النسخة الرسمية للكتاب المقدس باللغة اللاتينية، وتسمى «فولجت» Vulgate والتي تم إعدادها ما بين ٣٨٢ - ٤٠٤ ميلادية وقد اعتمدت هذه النسخة على العبرية في ترجمة العهد القديم وعلى الإغريقية في ترجمة العهد الجديد[4].

بعبارة أخرى فإن أصل الكتاب المقدس الحالي هو ترجمة من اللغة التي جاءت بها التعاليم وليست هي نفسها. ومنذ أن بدأت الترجمات الثانوية فإن التحسينات عليها لم تتوقف حتى اليوم.

---

(١) بارترِيدج صفحة ١٤ - ١٥.
(٢) بوكاي صفة ٧١ - ٩٣.
(٣) بارتريدج صفحة ١٥.
(٤) بروس صفحة ١؛ بارتريدج صفحة ١٦ - ١٧.

أما بالنسبة للقرآن الكريم فإنه نزل به جبريل على النبي محمد باللغة العربية وهو كلام الله لفظاً ومعنى[1]. ولهذا فان الله في القرآن الكريم تحدّى فصحاء العرب أن يأتوا بمثله إذ يقول: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[2].

وقد نزل القرآن منجماً خلال فترة امتدت حوالي ثلاثة وعشرين عاماً، وتم حفظه شفاهة وكتابة في حياة النبي محمد عليه السلام[3]. ويعتبر حفظ بعضه إلزاماً على المسلمين مهما كانت لغاتهم، وحفظه كله وتلاوته مجوداً بلغته باستمرار فضيلة كبرى يحث عليها الإسلام[4].

وقد تم جمع القرآن في مجلد واحد في ظرف عام من وفاة النبي محمد عليه السلام. وبما أن جبريل راجع محمداً- عليه السلام- القرآن مرتين خلال شهر واحد آخر مرة[5] فضلاً

---

(١) سورة يوسف: ١ - ٣؛ سورة القيامة: ١٦ - ١٩؛ سورة العلق: ١.

(٢) سورة البقرة: ٢٣.

(٣) عبد العاطي صفحة ١٩٢ - ١٩٤؛ البخاري: مجلد ٦ صفحة ٤٦٣.

(٤) البخاري: مجلد ٨ صفحة ٨٠ - ٨١، ١٨٥ - ١٨٩.

(٥) البخاري: مجلد ٦ صفحة ٤٧٧ - ٤٨٥.

عن كون ترتيب الآيات ثابتاً بالنص فإن ترتيب السور لا بد وأنه كان بفعل النبي محمد عليه السلام.

ويتكون القرآن الكريم من ١١٤ سورة ومجموع آياتها ٦٢٣٦ آية بدون البسملة في بدايات السور.

والحقيقة أن الأسلوب القرآني ببلاغته وقواعده ومفرداته ما يزال حياً إلى اليوم يعتبره ملايين الناطقين بالعربية مقياساً للفصاحة وجمال التعبير. لهذا فإن أي ترجمة لمعاني القرآن في أي لغة من لغات العالم لا يمكن أن تعتبر بديلاً للأسلوب الذي نزل به القرآن.

من كل ما سبق يبدو جلياً أن أصل الكتاب المقدس، على العكس من القرآن الكريم، ليس كلاماً لله ولكنه في الغالب ترجمة مكتوبة للغة منقرضة لتعاليم دينية وتقارير تداولها اليهود والمسيحيون الأوائل شفاهة بلغة مختلفة هي الأخرى منقرضة. ومن الواضح أيضاً أن بعض أجزاء الكتاب المقدس لا يزال مثار خلاف بين الطوائف المسيحية المختلفة. ومثال ذلك شرعية «الأبوكريفا Apocrypha» (بضع من أسفار العهد القديم) فهناك من يرى أنها ليست شرعية وقد يذهب البعض إلى إنكارها كلية كما يفعل المتطهرون Puritans[١].

---

(١) بروس، صفحة ١١٠ - ١١١، ١٢٣.

لهذا فحتى عام ١٦١١ ميلادية كان هناك أكثر من خمسين ترجمة بالإنجليزية وحدها للكتاب المقدس[١].

فالأمر إذن ليس مشكلة الترجمة وصعوباتها فقط ولكنه أيضاً قضية الانتماء إلى طائفة دون أخرى تلك التي تتسبب في الإضافة والإلغاء. وقد تبلغ الإضافة أو الإلغاء درجة خطيرة مثل «وهكذا نحن لدينا ثلاثة براهين في السماء، الأب والكلمة (عيسى) والخيال المقدس (روح القدس)..[٢] وكذلك بالنسبة للآية «فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فأجاب وقال أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله»[٣]. وهذه الآيات ومثيلاتها موجودة في بعض النسخ وأزيلت من البعض الآخر خاصة النسخ الحديثة لأن بعضها لم توجد حتى في أفضل النصوص اللاتينية[٤].

أما المتناقضات في الكتاب المقدس فإنها كثيرة وفيما يلي بعض الأمثلة:

١ - جاء في العهد القديم أن إسماعيل هو الإبن الأكبر للنبي إبراهيم[٥] ولكن في السفر نفسه ورد قول الرب «خذ ابنك وحيدك، الذي تحبه إسحق...»[٦]

---

(١) بارتريدج صفحة ٥.

(٢) يوحنا ٥:٧ منقولة عن نسخة نلسون ١٩٧٠م بالإنجليزية.

(٣) أعمال الرسل ٨:٣٧.

(٤) بروس صفحة ٢٠٨؛ بارتريدج صفحة ١ - ٦، ١٥٩-١٧٩.

(٥) تكوين ١٦:١٥، ١٧ - ١٩.

(٦) تكوين ٢٢:٢.

فكيف يكون إسحاق الإبن الوحيد لإبراهيم ولا يزال إسماعيل على قيد الحياة وهو الإبن الأكبر؟ إلا أن يقول أحد أن ابن الجارية في المسيحية لا يعتبر إبناً كاملاً مع أنه في الإسلام يكون إبناً كامل الحقوق ويكون أيضاً سبباً في حرية والدته من سيدها الذي هو أبوه[1].

٢ - ويصف العهد القديم الرب بأنه «نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم»[2]. ثم نجد الكتاب المقدس في موضع آخر يقول بأن الرب يندم إذا أخطأ ويغير رأيه كأنه لا يعلم ماذا سيحصل منذ البداية[3].

٣ - حتى في رواية القصة الواحدة يختلف كتاب الأناجيل في عدد الشخصية الرئيسية للقصة هل هما مجنونان، حسب رواية متى[4] أو مجنون واحد حسب رواية مرقس[5] ولوقا[6].

---

(١) ابن قدامة مجلد ٦ صفحة ٣٠٧ ومجلد ٧ صفحة ٥٠٠-٥٠٤.
(٢) صموئيل الأول ١٥:٢٩.
(٣) صموئيل الأول ١٥:١٠؛ صموئيل الثاني ٢٤:١٦؛ عاموس ٧:٣؛ يونان ٣:١٠.
(٤) متي ٨:٢٨ - ٢٩.
(٥) مرقس ٥:١ - ١٠.
(٦) لوقا ٨:٢٦ - ٣١.

٤ - وفي العهد الجديد تذكر رسالة لبولس الرسول أن آدم أذنب فلذلك أصبح نسله مذنبين[١]. وهذا يتعارض مع ما ورد في الكتاب المقدس في موضع آخر إذ جاء فيه «الإبن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الإبن، برُّ البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون»[٢].

٥ - عند الرجوع إلى نسب المسيح في إنجيل متى[٣] ولوقا[٤] يجد القارىء عدداً من التناقضات منها:

أ - عدد الأجيال بين النبي إبراهيم ويوسف النجار زوج أم النبي عيسى - حسب الكتاب المقدس - يختلف بين الإنجيلين بنسبة تتراوح ما بين ٣٨ إلى ٥٤ أو ٥٦ حسب النسخ التي يعود إليها القارىء.

ب - في متى (١٦:١) نجد أن يوسف النجار هو ابن يعقوب، بينما هو في لوقا (٢٣:٣) ابن هالي.

ج - في متى (٧:١) نجد أن يوسف النجار هو من نسل سليمان بن داوود بينما هو في لوقا (٣١:٣) من نسل ناثان بن داوود.

---

(١) إلى أهل رومية ٢٤:٣ - ٢٥؛ ٢:٥-٢١.

(٢) حزقيال ٢٠:١٨؛ تثنية ١٦:٢٤.

(٣) متى ١:١ - ١٧.

(٤) لوقا ٢٣:٣ - ٣٨.

د - وهناك كثير من الأسماء الأخرى التي لا يمكن مقارنتها في الإنجيلين. فالاختلافات تصل إلى درجة التناقض حتى بين كتاب الأناجيل الأربعة مع أن المفترض أنهم يروون التعاليم نفسها والأحداث ذاتها كشهود عيان. هذا إنما يدل على أن بعضهم لم يكونوا شهود عيان واعتمدوا على مصادر غير موثوقة أو أن التحريف قد تسرب إلى كتاباتهم. وعلى أية حال فإن هذه الحقيقة لا شك تخدش الثقة في هذه الأناجيل.

ويعجب الإنسان إذا ما كان بولس الرسول هو نبي أيضاً خاصة وأنه يقول إن رسالته عالمية بينما رسالة المسيح خاصة ببني إسرائيل[1] كما دعا إلى أشياء أخرى جديدة بعضها يتعارض مع تعاليم المسيح وتطبيقاته مثل ابتداع الأغاني والترانيم الروحية بالمزامير[2]، ونسخ أمر الرب بالاختتان[3] بينما الاختتان فرض على المؤمنين في العهد القديم[4] كما أنه جعل من عقيدة الثالوث والخطيئة الأصلية ديدنه وجوهر دعوته.

---

(١) متى ١٠:٥ - ٦؛ ١٥:٢٤؛ ١٩: ٢٧ - ٢٨.

(٢) إلى أهل أفسيس ٥:١٩.

(٣) الأولى إلى أهل كورنثوس ٧:١٨-١٩؛ إلى أهل رومية ٣:١.

(٤) تكوين ١٧:١٠.

وجعل بولس الرسول الصليب مقدساً، وكان من باب أولى أن يُبغض وقد كانت الآلة التي يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام عُذب بها، كما أبدل السبت بالأحد مع أن تعاليم العهد القديم ملزمة لأتباع المسيح إلا ما صرح هو بإلغائه[١].

لهذا فقد كان اختلاف الحواريين مع بولس الرسول أمرا لا مفر منه فتجرأ على تهمتهم بالنفاق[٢] ومع كل هذه التناقضات فإن بولس الرسول يتحدث عن مصدر تعاليمه فيقول: «أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلمته بل بإعلان يسوع المسيح»[٣].

وبما أن بولس الرسول لم يقابل المسيح ولم يقابل أحداً من حوارييه إلا بعد أعوام[٤] فإن هذا يعني أنه لم يتلق تعاليمه من المسيح إلا بعد صلبه[٥]. ألا يشبه هذا الادعاء، دعوى أحد أقرباء الميت المتأخرين بأنه رأى روح الميت وأخبره بأن بعض فقرات الوصية المكتوبة منسوخة وأن لهذا القريب الحق في توزيع التركة كيف يشاء؟.

---

(١) متى ٥:١٧ - ١٩ وانظر التفاصيل في الطهطاوي صفحة ٢٥٩-٢٧٧.

(٢) إلى أهل غلاطية ٢:٥ - ١٤.

(٣) إلى أهل غلاطية ١:١١ - ١٢.

(٤) الطهطاوي صفحة ٢٤٤.

(٥) أعمال الرسل ٩:١ - ٤٢.

والملاحظ أن بولس الرسول هو مصدر الغوامض في المسيحية. مثلا: ١) الطريقة التي تلقى بها بولس الرسول تعاليمه من المسيح، ٢) وعقيدة الثالوث، ٣) الخطيئة الأصلية. وإذا علمنا أن رسائل بولس الرسول هي أول ما تم تدوينه من العهد الجديد فإنه يتبين لنا جلياً أن كل واحدة من هذه الغوامض تسند الأخرى.

إن أي إنسان عاقل يجب أن يشكك في مثل هذا الكتاب الذي يمكن بسهولة الإضافة إلى كلماته ومعانيه والحذف منها بحجة تحسين الترجمة من أصل هو ترجمة بذاته.

إذا كان هذا لا يجوز في دستور بشري فكيف يجوز في كتاب يفترض فيه أن يكون دستوراً إلهيا؟.

النبي عيسى عليه السلام

يشير الكتاب المقدس إلى أن عيسى قد ولدته أمه في بيت لحم إذ كانت «أمه مخطوبة ليوسف وقبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس»[1].

أما عن حكمة وجود المسيح فيقول يوحنا في إنجيله «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد»[2].

فإذاً عيسى - حسب الكتاب المقدس - نصف إله ونصف إنسان، والقول بألوهيته يستند إلى كونه قد ذُكر بصفته إبناً للرب وكلمته التي كانت موجودة منذ الأزل[3]، «وكل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان»[4]. ولكن

(١) متى ١:١٨.

(٢) يوحنا ٣:١٦ - ١٨ وانظر أهل رومية ٣:٢٤-٢٥؛ ٥:٨-١٠.

(٣) يوحنا ١:١.

(٤) يوحنا ١:٣.

«الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب»[1] هذا بالإضافة إلى كون أمه حملت به من الروح القدس[2].

وحسب وصف الكتاب المقدس فإن حادثة صلبه كانت قصة مأساوية لم تشهدها الرحمة بتاتاً[3].

ويميل المسيحيون إلى الاعتقاد بأن ابن الله قد قدَّم جزءه البشري طوعاً لأجلنا ولكن الأناجيل تشير إلى أنه قال محتجاً على أبيه إذ «صرخ بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟»[4].

أما القرآن الكريم فيروي قصة عيسى عليه السلام على النحو التالي:[5] ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلإِنْجِيلَ

---

(١) يوحنا ١:١٤.

(٢) متى ١:١٨.

(٣) متى ٢٧: ١ - ٦٦؛ مارك ١:١٥ - ٤١.

(٤) متى ٢٧:٤٦؛ مارك ١٥:٣٤.

(٥) سورة آل عمران: ٤٥ - ٥١.

وَرَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُبْرِىءُ ٱلأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ ٱللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ وهَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

فالقرآن إذن يتفق مع إنجيل متى ولوقا على أن ميلاد المسيح كان معجزة إذ لم يكن له أب. ولكن القرآن يؤكد أن حواء أيضا لم يكن لها أب[1]. أما آدم فقد خلقه الله ولم يكن له أب ولا أم[2].

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، فهي كلمة واحدة من الله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

---

(١) سورة النساء: ١؛ البخاري مجلد ٤ صفحة ٣٤٦.

(٢) سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩.

(٣) سورة آل عمران: ٥٩.

(٤) سورة يس: ٨٢ - ٨٣.

عندما نستعرض الكتاب المقدس، والقرآن الكريم فيما يتعلق بمصطلحي «كلمة» و«ابن» وكون الإنسان يأتي إلى الوجود بدون أحد الوالدين أو بدونهما جميعاً فإننا نجد الحقائق التالية:

١ - يحيى عليه السلام كانت ولادته بمعجزة قبل أن يكون عيسى عليه السلام كلمة من الله[١] أي يولد بمعجزة.
٢ - الروح القدس كان سبباً في ميلاد يحيى كما كان سبباً في ميلاد المسيح[٢].

وعن الكيفية التي تحول فيها الطين إلى آدم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٣]. وقد استخدمت الطريقة نفسها أي ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[٤] بالنسبة لعيسى عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران ٣٩-٤٠، ٤٥.
(٢) لوقا ١:١، ٤١، ٦٧؛ متى ١:١٨ وانظر العدد ١١:٢٥ علاقة الروح القدس بسبعين رجلاً واشعيا ١١:١ لحلول روح الرب على شجرة.
(٣) سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩.
(٤) سورة الأنبياء: ٩١؛ سورة التحريم: ١٢.

٣ - أما مصطلح «الابن» في الكتاب المقدس فقد شارك فيه عيسى آخرون مثل آدم[١] والمؤمنون[٢].

٤ - وكون الإنسان يأتي إلى الوجود بدون أحد الوالدين فحواء شريكة لعيسى في ذلك[٣]. وإذا كانت معجزة خلقهما متساوية فإن خلق آدم أكثر إعجازاً. فمن يستحق أن ينسب إلى الله.

والحقيقة أن ما نقلته إلينا الأناجيل من احتجاج عيسى على إلٰهه لتركه يصلب ليس فقط ينقض الاعتقاد السائد بأنه قدم نفسه طوعاً كضحية من قبل أبيه ولكن يثبت ضعفه كإنسان.. وحسب ادعاء الكتاب المقدس - عصيانه لأمر أبيه. واحتجاج عيسى عليه السلام على إرادة الله تُهمة جسيمة في حق نبي مثل عيسى إذا ما قورن باستسلام إسحق الذي لم يعترض حسب التوراة[٤] - أو إسماعيل الذي قال: ﴿يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ عندما أراد إبراهيم ذبحه كما ثبت في القرآن الكريم[٥].

ولو نظرنا إلى الطريقة التي عرضت فيها الأناجيل نسب عيسى عليه السلام إذ لم تدعه إلى أمه وآبائها بل دعته إلى

(١) لوقا: ٣:٣٨.
(٢) متى ٥:٤٥؛ يوحنا ١:١٢.
(٣) تكوين ٢:٢١ - ٢٥.
(٤) تكوين ٢٢: ١٠ - ١١.
(٥) سورة الصافات: ١٠٢.

زوج أمه يوسف النجار، وآبائه[1] لرأينا كيف أنها تؤكد إنسانيته وتلغي معجزة ميلاده وتؤكد تهمة اليهود لأمه والتي برأها القرآن منها.

وجاء في الأناجيل أيضاً أنه ابن داوود[2] وأنه ابن الإنسان[3]. لهذا نجد القرآن الكريم يؤكد في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ..﴾[4].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لما كان صلب عيسى عليه السلام لرفع الموت الذي أتى به آدم بالخطيئة التي اقترفها فهل حقاً رَفع صلب عيسى عليه السلام الموت؟.

وماذا عن الذين عاشوا قبل مجيء المسيح؟.

حسب عقيدة القائلين بأن المسيح ابن الله فإن آدم جلب اللعنة على نسله جميعاً بدون تمييز بينهم، فلماذا لا يرفع صلب عيسى اللعنة إلا عن الذين يؤمنون بأن عيسى ابن الله؟

ألا تعني عقيدة بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى أن عيسى ليس إنساناً كاملاً ولا إلهاً كاملاً؟ فهل يجوز أن يقال هذا عن أحد الأنبياء من أولي العزم.؟

---

(١) متى ١:١ - ١٦؛ لوقا ٣:٢٣ - ٣٨.

(٢) متى ٩:٢٧؛ يوحنا ٧:٤٢.

(٣) متى ١٠: ٢٣؛ ومرقس ٢:١٠.

(٤) سورة المائدة: ٧٥.

الحساب والخطيئة الأصلية

الإيمان بعقيدة الخطيئة الأصلية أساس من أسس الدين المسيحي وهي التوأم المكمل لعقيدة الثالوث. وتعود جذور هذه الخطيئة إلى عصيان آدم لله تعالى في الجنة إذ أكل هو وحواء من الشجرة المحرمة[1]. وهذا العصيان من أبي البشر يسمى بالخطيئة الأصلية التي أصبح جميع نسله بسببها مذنبين وحل عليهم بها الهلاك.

ويوضح بولس (الرسول) ذلك بقوله: «من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»[2]. ولكن لعدل الله وحبه للعالم بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية[3]. فهذا ابنه الذي كان في صورة الله «أخلي نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع

---

(١) تكوين ٣:١ - ٧.

(٢) إلى أهل رومية ٥:١٢.

(٣) يوحنا ٣:١٦ - ٢٠

حتى الموت موت الصلب»[1].

ويقترن بعقيدة الخطيئة الأصلية أيضاً قضية المصير المحتوم التي كانت مجالاً خصباً لكثير من الجدل. وذهب بعض المسيحيين إلى القول بأن الله مالك كل شيء فهو يسع في رحمته من يشاء ويضل من يشاء وليس لأحد أن يسأله عما يفعل[2]. أما البعض الآخر كرجال الدين من مسيحيي اليونان فإنهم فسروا هذه النصوص وغيرها من النصوص المماثلة بشكل عام يوحي بوجود حرية للإنسان في الاختيار[3].

ويذهب راهنر إلى أن هناك فرقاً بين الخطيئة الأصلية والذنب الشخصي[4] الذي يتطلب الاعتراف به إلى القسيس للتكفير عنه[5]. فالمسيح عقب صلبه وبعثه أعطى الحواريين صلاحية غفران الذنوب. إذ ورد في الإنجيل قول المسيح «اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت»[6].

---

(١) إلى أهل فيلبي ٢:٦ - ٨؛ إلى أهل رومية ٣:٢٣ - ٢٦؛ ٨:٣.
(٢) إلى أهل رومية ٩:١٤ - ٢٤.
(٣) راهنر صفحة ١٢٧٧.
(٤) المرجع السابق صفحة ١١٥٥.
(٥) مرقس ١:٤ - ٥.
(٦) يوحنا ٢٠:٢٢ - ٢٣.

أما القرآن الكريم فله موقف آخر من قصة آدم في الجنة، إذ يقول الله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ؛ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

ولكن القرآن في الوقت نفسه يؤكد أن آدم قد تاب إلى ربه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] وعلى العكس مما ورد في الكتاب المقدس فإن القرآن الكريم يؤكد أن الحياة الدنيا هي هبة من الله إذ يقول تعالى للملائكة حتى قبل أن يخلق آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وذلك في الآية الثلاثين من سورة البقرة.

والإنسان في نظر الإسلام يولد على الفطرة التي تهديه إلى وحدانية الله والاستسلام له إذ يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

(١، ٢) سورة البقرة: ٣٥ - ٣٧.
(٣) سورة الروم: ٣٠ - ٣١.

وقد زود الله الإنسان بالعقل الذي يستطيع به التمييز بين الخير والشر[1] ومنحه القدرة على الاختيار بينهما[2] ثم أمده بالهداية بما أرسل من أنبياء ورسل[3]. فمن يتبع الهدى الإلهي سينال الفوز وأما الذين يسيئون استعمال قواهم العقلية وحرية الاختيار ويتجاهلون الهدى الإلهي فسوف يستحقون العقاب.

ولا يعني هذا أن الله يفقد السيطرة على أفعال العباد وقد منحهم حرية الاختيار فالله يؤكد أنه مع كون الإنسان مخيراً فهو لا يزال تحت سيطرته التامة إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[4].

وهذه الحقيقة مضافة إلى حقيقة كون الإنسان مسئولاً عن أفعاله تشتبه على كثير من الناس، غير أن المثال البشري التالي سيساعد على توضيح هذه الحقيقة وتبسيطها ولله المثل الأعلى.

افترض أن لديك طفلاً في مقدوره فهم الإرشادات (العقل) ووضعت أمامه طبقاً من طعام، وإلى جانبه لعبة تحمل بعض الجراثيم فشرحت له أن الطعام مفيد لصحته وأن

---

(١) سورة البلد: ١٠.

(٢) سورة الإنسان: ٣؛ سورة الرعد: ٢٧؛ سورة النحل: ٩٣.

(٣) سورة فاطر: ٢٤.

(٤) سورة الإنسان: ٢٩ - ٣٠.

اللعبة خطيرة على صحته (الهدي) ثم منحته حرية الاختيار بينهما (حرية الإرادة). ومع هذا فإن الوضع بأكمله لا يزال تحت سيطرتك لأنك تستطيع التدخل في أي وقت لتسلبه حرية الاختيار هذه وقد تجبره على اختيار الطعام خلافاً لرغبته الشخصية. ولكن لو اختار هذا الطفل اللعبة الملوثة- رغم الإرشادات التي أدركها سلفاً- وأصبح مريضاً فإنه سيكون هو المسئول عن تلك النتيجة. ليس هذا فحسب فلو كانت اللعبة أصعب في الحصول عليها من الطعام ولكن إصرار الطفل سيوصله في النهاية إلى اللعبة سواء ساعده أحد أم لم يساعده فساعدته فإنه لا يزال مسئولا عن النتيجة. فالمسئولية عن النتائج هي الثمن دائماً للحرية التي يتغنى بها الناس ويجاهدون في سبيلها ويعيشون من أجلها.

ولكن يجب أن لا ننسى أن نتائج هذه الحرية أو حتى المعرفة اليقينية المسبقة لما قد يختاره الطفل ليست في حدود إمكاناتنا البشرية، أما بالنسبة لعلم الله الذي لا يحده عنصر الزمان والمكان أو الحواس المحدودة فالأمر يختلف. فبالنسبة لعلم الله ليس هناك ما يسمى بالماضي الغامض أو المستقبل المجهول وليس هناك ما يمكن اعتباره خافياً[1]. فكل شيء بالنسبة لعلم الله حاضر. ومن هذا العلم ينطلق القدر خيره

(١) سورة البقرة: ٢٨٤؛ سورة الأنعام: ٥٩.

وشره أي الإحاطة بما كان وسيكون إذ يقول تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]. أي ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل وما يكتب على الإنسان وهو لا يزال في بطن أمه ليس إلزاماً من الله لمخلوقاته ولكنه وصف لما هو في علم الله حاضر. ولما كنا لا ندري ما هو مكتوب مما سنقوم به من أعمال قد تؤدي إلى الجنة أو النار فإنه علينا أن نعمل جهدنا للفوز في الدنيا والآخرة حتى نخلي مسئولياتنا أمام الله تجاه ما منحنا من إمكانات ونِعَمْ مختلفة. لأن الإنسان لا يحاسب على الخطأ بعد إخلاء مسئوليته.

ويؤكد القرآن الكريم أن الأمور لا تسير بطريقة عشوائية فكل شيء في هذا الوجود يسير حسب قوانين ثابتة وضعها الله[2]، وأن بعض القوانين تبطل مفعول بعضها الآخر وهذا هو ما يعبر عنه بالقضاء. ومسئوليتنا تنحصر في أي القوانين نختار وكيف نستعملها. ولهذا فإن الدعاء المستجاب قد يرد القضاء فهو قانون يبطل مفعول قانون آخر.

أما فيما يتعلق بالخطيئة الأصلية فإن الله تعالى ينفيها بقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ

---

(1) سورة الحديد: ٢٢.

(٢) سورة الفرقان: ٢؛ سورة الطلاق: ٣.

رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

والكتاب المقدس في بعض نصوصه يؤكد المبدأ نفسه[2]. ثم الله لا يحتاج وسيطاً بينه وبين مخلوقاته. وعلمه يحيط بكل شيء إذ يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3]. لهذا فالمغفرة لا تطلب إلا منه ولا يضمنها أحد سواه ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾[4].

إن عقيدة الخطيئة الأصلية تثير عدداً من التساؤلات. فهل تقبل العدالة البشرية فضلاً عن العدالة الربانية معاقبة الأبناء بذنب اقترفه الآباء؟ ولو سلمنا بعدم استحالة هذا، أليس في إمكان الرب أن يعفو عن خلقه بدون تعريض نفسه أو جزء منه أو ابنه- تعالى الله عما يصفون- إلى هذا العذاب كله؟.

ألا تظن أيها القارىء أن عقيدة الخطيئة الأصلية وصلب المسيح عليه السلام للتكفير عن تلك الخطيئة التي لم يرتكبها نسل آدم تشبه قصة الرجل الذي يتظاهر بأن أسرته تعاني من الظمأ ومع أن الماء في متناول يده فهو يجري المسافات الطويلة في دائرة كبيرة ليعود إلى حيث بدأ وحيث الماء؟ بم تصف مثل هذا الرجل؟... فكيف بإلصاق مثل هذه التهمة أو الصفة بالله العزيز الحكيم؟.

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٤.
(٢) حزقيال ١٨ :٢٠.
(٣) سورة ق: ١٦.
(٤) سورة آل عمران: ١٣٥.

أنبياء الله

ورد في الكتاب المقدس نعت « النبي » لطائفتين من الناس. أولئك الذين يدّعون النبوة من عند أنفسهم فاستحقوا التهديد كما جاء في العهد القديم «ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً »[١]، وأولئك الذين أرسلهم الله بالهدى لأقوامهم.

وعلى النقيض من الصورة التي رسمها العهد الجديد لعيسى فإننا نجد صوراً غريبة لرسل الله في العهد القديم. إذ نقرأ فيها مثلاً: «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه». ولأن والد كنعان ابنه الصغير رأى عورة أبيه وأخبر أخويه بذلك دعى عليه نوح عليه السلام بقوله: «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته »[٢].

أما النبي لوط عليه السلام فقد جعل منه العهد القديم سكراناً تسقيه ابنتاه الخمر وتنامان معه حتى تحيا نسلاً من

---

(١) حزقيال: ١٣:٣.

(٢) تكوين ٩:٢٠ - ٢٥.

أبيها إذ تقرأ فيه «فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها..» وتكررت هذه العملية في الليلة التالية مع الإبنة الصغرى[١] ومع أن الكذب من أخطر العوامل التي تخدش النبوة فقد نعتت التوراة النبي إبراهيم عليه السلام بالكذب على غلمانه وإبنه بدون سبب مقبول[٢].

أما النبي يعقوب عليه السلام فإنه بالتآمر مع والدته يخدع أباه النبي اسحق عليه السلام ليحظى بالبركة التي وعدها والده لأخيه عيسو[٣]. ليس هذا فحسب فإن الكتاب المقدس صور النبي يعقوب شريراً يدبر خدعة قذرة للسطو على مال خاله ووالد زوجتيه[٤]. ويؤلف كذبة على ربه ليخدع بها زوجتيه فتكرهان والديها بسببها. بل إن واحدة من البنات سرقت «أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي (خاله) إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له..»[٥].

ومما يُدهش له أن الكتاب المقدس يصور الله راضياً بكل ما صنع يعقوب إذ نقرأ فيه «وقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك»[٦] ويأمر خال

(١) تكوين ١٩ :٣٠ - ٣٨.
(٢) تكوين ٢٢ :٥ - ٨.
(٣) تكوين ٢٧ : ١ - ٢٩.
(٤) تكوين ٣٠ : ٣١ - ٤٣.
(٥) تكوين ٣١ : ٤ - ٣٠.
(٦) تكوين ٣١ :٣.

يعقوب بعدم التعرض له إذ «أتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل وقال له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر»[١].

ويهوذا يرتكب الفاحشة بكامل وعيه مع زوجة إبنيه على التوالي إذ غطت وجهها فلم يعرفها وحسبها زانية. ثم تنجب منه توأمين[٢] أحدهما وهو فارص أصبح جداً للنبي داوود وسليمان ويوسف النجار زوج مريم أم عيسى عليهم السلام[٣]. وليس بين ابن الزنى، فارص، والنبي داوود وسليمان سوى ثمانية أو تسعة أجيال مع أن الكتاب المقدس يؤكد «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد جماعة الرب»[٤].

وأما النبي داوود عليه السلام فقد صوره الكتاب المقدس زانياً يخون جنديه أوريا في زوجته ثم يكيد للزوج المخلص لمليكه أكثر من إخلاصه لزوجته فيكتب إلى قائده يوآب «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت...»[٥] ومع هذا فامتناع داوود عن الطعام ليس علامة للتوبة وطلباً للمغفرة ولكن أملاً في شفاء ابنه من

---

(١) تكوين ٣١: ٢٤.
(٢) تكوين ٣٨: ١٢-٣٠.
(٣) متي ١: ١-١٦.
(٤) تثنية ٢٣: ٢.
(٥) صموئيل الثاني: ١١: ٢ - ١٧

زوجة أوريا فلما مات الولد قام «داوود عن الأرض واغتسل وادّهن وبدّل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل». ولما استغرب عبيده من فعله أجاب «لما كان الولد حياً صمت وبكيت ولما مات الولد قمت وأكلت خبزاً.. والآن قد مات فلماذا أصوم هل أقدر أن أرده بعد.»[١].

وفي مقابل هذا فإن القرآن الكريم يتخذ موقفاً مختلفاً من أنبياء الله ورسله ومن صفاتهم. وينطلق الموقف القرآني من المبدأ الذي يؤكد أن الأنبياء قد أرسلهم الله بهداه إلى الناس مبشرين ومنذرين. ولهذا فهم أفضل النماذج في أقوامهم وبشكل عام هم أفضل البشر ومعصومون من الذنوب الكبيرة مما يخدش مكانتهم كقدوة يُحتذى بها[٢].

فالقرآن مثلاً يشير إلى الأنبياء بقوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

---

(١) صموئيل الثاني ١٢: ١٦ - ١٤.

(٢) الألباني وآخرون صفحة ٥٥٥-٥٥٨؛ بدوي والحلقات الخاصة بالنبوة.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلى ٱلْعَالَمِينَ﴾[١].

وإذا عارضنا ما جاء في القرآن الكريم بما في الكتاب المقدس عن النبي نوح عليه السلام نجده يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ ٱللهِ فَعَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[٢]. فهو قوي الإيمان صادق العزم لا يبالي في الله لومة لائم. ثم هو سريع إلى الاستغفار حتى لو كان الذنب هو مجرد التعبير المؤدب عن حنان الأبوة تجاه إبنه الكافر[٣]. لهذا فقد استحق بجدارة نعت ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[٤] وأنه كان من المحسنين فهو من عباد الله المؤمنين[٥].

وعن النبي إبراهيم عليه السلام يقول تعالى: في وصفه: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾[٦]، ﴿لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٧]، ﴿أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً﴾[٨]، ﴿وأنّه وَفَّى﴾[٩].

---

(١) سورة الأنعام: ٨٣ - ٨٦.
(٢) سورة يونس: ٧١.
(٣) سورة هود: ٤٥ - ٤٧.
(٤) سورة الإسراء: ٣.
(٥) سورة الصافات: ٨٠ - ٨١.
(٦) سورة مريم: ٤١.
(٧) سورة التوبة: ١١٤.
(٨) سورة النحل: ١٢٠.
(٩) سورة النجم: ٣٧.

أما النبي لوط عليه السلام فقد كان من بين من فضلهم الله ﴿عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[1]، وكان عبداً صالحاً[2] من الشاكرين[3].

وورد عن النبي يعقوب وأبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهم السلام في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصارِ. إِنَّا أَخْلَصْناهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[4].

وعن النبي داوود عليه السلام يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿... وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ.. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[5].

ولما كانت عقيدة المسلمين أن الله القادر على اختيار أحسن عباده ليكونوا رسلاً له فأقصى ما يرتكبه النبي من ذنب أخلاقي هو ما يجري في القلب كما جاء في قصة النبي يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا..﴾[6].

ولنعرف مدى خطورة اتهامات العهد القديم تجاه الأنبياء العظام تخيل نفسك لا في مكان هؤلاء الأنبياء بل في مكان

---

(١) سورة الأنعام: ٨٦.
(٢) سورة التحريم: ١٠؛ سورة الأنبياء: ٧٤.
(٣) سورة القمر: ٣٥.
(٤) سورة ص: ٤٥ - ٤٧؛ وانظر أيضا سورة مريم: ٤٩-٥٠.
(٥) سورة ص: ١٧ - ٢٠.
(٦) سورة يوسف: ٢٤.

داعية من الدعاة وضبطك من تدعوهم إلى الله في وضع من الأوضاع التي وصم بها الكتاب المقدس أنبياء الله، خاصة لوط وداوود ثم نشروا هذه الفضيحة على الملأ. فماذا يكون وقع ذلك في نفسك وعلى عملك؟ وماذا ستكون مشاعر من تدعوهم إلى الله تجاهك؟ ألا تعتقد أيها القارىء أن الله قادر على اختيار رسل أفضل من أولئك الذين وصفتهم التوراة؟.

النبي محمد عليه الصلاة والسلام

هناك عدد من الآيات في الكتاب المقدس يمكن اعتبارها بشارات بقدوم النبي محمد ﷺ. بعضها في العهد القديم وبعضها الآخر في العهد الجديد.

مما ورد في العهد القديم نقرأ في الكتاب المقدس:

١) «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. إثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة»[١].

النص السابق قد لا يعني شيئاً كما جاء هنا، ولكن بعض علماء المسلمين في القرن الرابع عشر الميلادي[٢] معتمدين على ترجمة عربية قديمة للآية نفسها مضيفين عليها الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الإصحاح السادس عشر قدموا دليلاً بأن الكتاب المقدس يبشر بقدوم حفيد للنبي إسماعيل ستكون له مكانة لا ينالها أحد من نسل النبي إبراهيم. وأن ذلك هو النبي محمد.

(١) تكوين ١٧: ٢٠.

(٢) ابن القيم الجوزية صفحة ٥٢٩-٥٨٠.

ليس هذا فحسب ولكن ورد اسم محمد كسبب لتشريف إسماعيل[١].

٢) وورد في الكتاب المقدس أيضاً «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران..»[٢] كما أن العهد القديم يؤكد أن إسماعيل ترعرع في برية فاران[٣] واعتماداً على هاتين الآيتين، يؤكد علماء المسلمين بأن رسالة موسى بدأت في سيناء ورسالة عيسى جاءت في سعير (أرض بالشام) ونزل الوحي الإلهي على محمد على جبل حراء في مكة[٤] عليهم السلام جميعاً.

٣) ويقول الكتاب المقدس متنبئاً بحلول حدث يكون سبباً في سعادة قبيلة قيدار «... لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار...»[٥].

وفي موضع آخر من السفر نفسه[٦] يحكي لنا الكتاب المقدس قصة امرأة عاقر لم تلد من قبل أتتها البشارة فسيصبح شرفها «ياقوتاً.. وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً..» وسيكتب النصر لها على كل من

---

(١) جاء في بعض الترجمات القديمة «أباركه بماد ماد».
(٢) تثنية ٣٣:٢.
(٣) تكوين ٢١:٢٠.
(٤) ابن تيمية صفحة ٣٠٤ - ٣٠٥.
(٥) أشعيا: ٤٢: ٩-١٧.
(٦) أشعيا ٥٤: ١-١٧.

يعاديها ثم يشير السفر نفسه إلى الرب وقد عزم على استبدال بني إسرائيل بقوم لم يسألوه أو يطلبوه من قبل[1].

وقد ذهب بعض علماء المسلمين إلى أن المقصود بقبيلة قيدار وهو إسم أحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم هنا هم العرب والمرأة العاقر هي مكة التي سيبعث فيها ومن أهلها رسول لأول مرة[2].

وورد في العهد القديم أيضاً على لسان موسى «قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»[3] ثم في موضع آخر ورد قول الرب: «فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم»[4] ويفسر علماء المسلمين هذه الآيات بأنها إشارات صريحة إلى محمد النبي الأمي الذي سيبعث إلى قوم أميين وينطق بالوحي الذي هو من كلام الله. وقد تم تفسيرها بهذا المعنى خاصة لأن الصفات التي وردت في مزامير داوود[5] تنطبق على محمد وجيوش الإسلام «أنت أبرع جمالاً من بني البشر

---

(١) أشعيا ٦٥: ١-٤.
(٢) الهندي صفحة ٥٢٤-٥٣١.
(٣) تثنية ١٨: ١٧-١٨.
(٤) تثنية ٣٢: ٢١.
(١) المزامير ٤٥: ٢ - ١٧.

انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك.. شعوب تحتك يسقطون..».

وفي العهد الجديد كذلك توجد نصوص تشير بطريقة مباشرة أو بالتلميح إلى النبي محمد ﷺ. ولعل من أقوى تلك البشارات ما ورد في إنجيل يوحنا إذ تقول الآية السادسة والعشرون من الإصحاح الخامس عشر «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي»[1].

يشير علماء المسلمين إلى ترجمة أخرى من الأصل اليوناني للعهد الجديد ويركزون على الكلمة التي ترجمت هنا بـ«المعزى» فيؤكدون أن معنى الكلمة الإغريقية في الأصل تعني الحمد فهي بمعنى محمد أو أحمد.

والحق أن علماء المسلمين ينطلقون في تفسيراتهم هذه من إيمانهم الراسخ بما جاء في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[2].

---

(١) يوحنا ١٤:١٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧ - ١٥.

(٢) سورة الصف: ٦.

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن قصة بناء الكعبة يقول تعالى على لسان ابراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(1).

والقرآن الكريم يؤكد: ﴿وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾(2)، وأنه يؤمن بالرسل من قبله وما أنزل عليهم(3).

والحقيقة أن جوهر دعوة رسل الله هي عبادة الله وحده، لا شريك له إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إلاَّ أَنَا فَٱعبدُونِ﴾(4).

كما يؤكد الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاس لاَ يَعْلَمُونَ﴾(5).

ومخاطباً البشرية يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ، وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(6).

---

(1) سورة البقرة: ١٢٩.
(2) سورة آل عمران: ١٤٤.
(3) سورة البقرة: ٢٨٥.
(4) سورة الأنبياء: ٢٥.
(5) سورة سبأ: ٢٨.
(6) سورة الأحزاب: ٤٠.

هذا ما يراه علماء الإسلام لكن علماء المسيحية لا شك يرفضون هذه التفسيرات. وفي غياب التوثيق لما أنزل على موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله المشار اليهم في الكتاب المقدس عليهم السلام أضف إلى ذلك صعوبات الترجمة فإن التحريف غير المقصود من السهل تسربه إلى طبعات الكتاب المقدس المختلفة.

كما أن احتمال التحريف المتعمد وارد في مثل هذا الوضع حيث ينكر اليهود رسالة عيسى عليه السلام وحيث ينكر كل من اليهود والنصارى رسالة محمد ﷺ.

لا شك أن الوضع كله يجعل أمر الجزم في الموضوع مرهون بما يعتقده كل طرف من الأطراف غير أن التشابه بين بعض نصوص الكتاب المقدس وبعض آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الأمر جدير باهتمام القارىء المنصف.

الخلاصة

لعل نوع العلاقة بين اليهودية والنصرانية والإسلام تنفرد بصفات خاصة تميزها عن العلاقة الموجودة بين الديانات والفلسفات الأخرى.

وتميزها يتخذ عدداً من الأشكال:

أولاً: العلاقة بينها تأخذ شكلاً مضطرداً ليس فقط من حيث الترتيب الزمني ولكن أيضاً من حيث شمول الرسالة ولكن بترتيب عكسي. الأخير أكثر شمولاً والثاني يتضمن الأول.

ثانياً: ترتبط الأديان الثلاثة بشكل عام بكونها أدياناً سماوية تؤمن بوجود خالق للكون كله، وبيوم الدين والحساب واليوم الآخر.

ثالثاً: المؤمنون بالديانة السابقة ينكرون الديانة اللاحقة بينما المؤمنون بالديانة اللاحقة يؤمنون أيضاً بسماوية الديانة السابقة.

وهذه العلاقة هي أشبه ما تكون بالعلاقة بين نوع معين من الثياب تختلف أحجامها باختلاف عمر لابسيها فهي متشابهة في التصميم ولكن تمثل درجات مختلفة من النمو والذي يقف عادة عند حد معين كما هو الحال بالنسبة للهيكل العظمي للإنسان الذي يقف عند حد معين من النمو. واختيار المقياس غير المناسب لا محالة مشكلة.

غير أن اختيار الدين الذي يحيد عن الصواب مشكلة أكثر خطورة وأشد حساسية من تلك. ولعل المثال التالي يوضح مدى هذه الخطورة:

افترض أنك تبحث عن طبيب معين لينقذك من سم لا محالة قاتلك إن لم يعالجك ذلك الطبيب. والطبيب يسكن عمارة لها ثلاثة أبواب. أحدها لا يؤدي إلا إلى الجزء القديم من العمارة، والآخر لا يؤدي سوى إلى الجزء الأكثر حداثة مضافاً إليه القديم. أما الثالث فيوصلك إلى جميع أجزاء العمارة بما فيها الإضافة الأخيرة. والوسيلة الوحيدة لمعرفة ساكني الشقق المختلفة هي قراءة اللوحة التي على باب كل شقة.

أخبرك ثلاثة أشخاص بأن الطبيب يسكن في الجزء الذي يسكنه كل واحد منهم مع أنهم يسكنون في أجزاء مختلفة. وأنت لا تدري من تصدق ولم تعط سوى فرصة واحدة. إما أن تختار البوابة الأولى أو الثانية أو الثالثة. فأي بوابة تختار؟ البوابة التي تؤدي إلى الجزء القديم فقط أو الجزء القديم والأكثر حداثة فقط أو الإضافة الأخيرة والجزئين السابقين جميعاً بمعنى آخر هل تختار اليهودية أو المسيحية أم الإسلام حتى لا تضل الطريق إلى الفلاح الأبدي؟.

المراجع العربية

القرآن الكريم
الكتاب المقدس: (كتب العهد القديم والعهد الجديد):
دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٨٤ م.
محمد ناصر الدين الألباني، وزهير الشاويش وغيرهما. **شرح العقيدة الطحاوية** بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٩٨٠ م.
شيخ الإسلام بن تيمية. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** الرياض: مطابع المجد التجارية.
أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة. **المغني** الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
أحمد بهجت. **أنبياء الله**

بيروت: دار الشروق. الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٣ م.
محمد بن قيم الجوزية. «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» **في الجامع الفريد**
الرياض: مطبعة المدينة ١٣٨٧ هـ.
الدكتور احسان حقي. **الدليل إلى أحكام التوراة والإنجيل**.
الكويت: مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٤ هـ.
الدكتور ظفر الإسلام خان. **التلمود: تاريخه وتعاليمه**
بيروت: دار النفائس ١٣٩١ هـ.
وحيد الدين خان. **الإسلام يتحدى** (تعريب ظفر الإسلام خان)
بيروت: دار البحوث العلمية ١٤٠١ هـ.
الدكتور فاضل صالح السامرائي. **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**.
بغداد: مكتبة القدس ١٣٩٨ هـ.
أحمد حجازي السقا. **أقانيم النصارى**
القاهرة: دار الأنصار ١٩٧٧ م.
دكتور عبد الجليل شلبي. **رد على مفتريات على الإسلام**
الكويت: دار القلم ١٩٨٢ م.
أبو الحسن إسحاق الصوري. **التوراة السامرية**
القاهرة: دار الأنصار ١٩٧٨ م.

محمد عزت إسماعيل الطهطاوي. **النصرانية والإسلام: عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة**
القاهرة: دار الأنصار ١٩٧٧م.
مناع القطان. **مباحث في علوم القرآن**
بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٩٨١م.
الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرواني. **إظهار الحق**
قطر: الشئون الدينية ١٤٠٠. أو رحمت الله الهندي وإظهار الحق، القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر ١٩٧٨م.

المراجع الأجنبية

Ali, Abdullah Yusuf, The Glorious Qur'an: Translation and Commentry, The MSA of USA and Canada, 1975.

Asad, Muhammad, (Trans.) The Message of the Qur'an.
Gibroltar: Darul Andalus, 1980.

The New American Bible: The New Catholic Translation,
Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1971.

The New English Bible with the Apocrypha,
New York: Oxford University Press, 1971.

The Holy Bible: Old and New Testament in the King James Version,
Nashville: Thomas Nelson, Inc. 1970.

Holy Bible: New American Standard,
Nashville: Holman Bible Publishers, 1960.
Aziz-us-Samad, Ulfat, Islam and Christianity,
Riyadh: Presidency of Islamic Research, Ifta and Propagation, 1984.
Badawi, Jamal, Muhammad's Prophethood: An Analytical View,
Plainfield: MSA of USA and Canada.
Badawi, Jamal, Islamic Teachings: Series of Interviews, (on tapes) Halifax:
Islamic Information Foundation, 1982.
Bruce, F. F., The English Bible: A History of Translations from the Earliest English Versions to the New English Bible,
New York: Oxford University Press, 1970.
Bucaille, Maurice, The Bible, The Qur'an and Science: The Holy Scriptures Examined in the Light of Modern Knowledge,
Paris: Seghers, 1982.
Deedat, Ahmad, Christ in Islam
Durban: The Islamic Propagation Center, 1983.

- The God that Never Was
  Dubran: The Islamic Propagation Center, 1983.
- «50'000 Errors in the Bible?»,
  Durban: The Islamic Propagation Center.
- Is The Bible God's Word?
  Durban: The Islamic Propagation Center.
- Al-Qur'an The Ultimate Miracle,
  Durban: The Islamic Propagation Center.
- What the Bible Says about Muhammad (P.B.U.H.)
  Durban: The Islamic Propagation Center,
- What is His Name?
  Durban: The Islamic Propagation Center, 1981.
- Resurrection or Resuscitation,
  Durban: The Islamic Propagation Center, 1978.
- Who Moved the Stone?
  Durban: The Islamic Propagation Center, 1977.
- What Was the Sign of Jonah.
  Durban: The Islamic Propagation Center, 1976.
- Was Jesus Crucified?,
  Chicago: Kazi Publications.

Khan, Muhammad Muhsin, Jesus and Muhammad (P.B.U.H) IN Bible and Qur'an,
Chicago: Kazi Publications, Inc. 1977.

Mufassir, Sulayman Shaid, The Bible's Preview of Muhammad,
St. Louis: Islamic Center of St. Louis, 1974.

– Jesus in the Qur'an,
Plainfield: The Muslim Students Association of the U.S.A. 1972.

Partridge, A. C., English Biblical Translation,
London: Ande'e Deutsh Limited 1973.

Rahner, Kari, (ed), Encyclopedia of Theology: The Concise Sacramentum Media,
New York: Seabury Press, 1975.

Islam and Christianism,
Paris: A. E. I. F. Publication; Hyderabad: Habib & Co, 1979.

The Time for True Submission to God,
New York: Watchtowers Bible and Tract Society, 1982.

مصطلحات
[أسفار العهد القديم]

Genesis	التكوين
Exodus	الخروج
Leviticus	اللاويين
Numbers	العدد
Deuteronomy	التثنية
Joshua	يشُوع
Judges	القضاة
Ruth	راعوث
1 Samuel	صموئيل الأول
2 Samuel	صموئيل الثاني
1 Kings	الملوك الأول

2 Kings	الملوك الثاني
1 Chronicles	أخبار الأيام الأول
2 Chronicles	أخبار الأيام الثاني
Ezra	عزرا
Nehemiah	نحميا
Esther	استير
Job	أيوب
Psalms	المزامير
Proberbs	الأمثال
Ecclesiastes	الجامعة
Song of Songs	نشيد الإنشاد
Isaiah	أشعيا
Jermiah	أرميا
Lomentations	مراثي أرميا
Ezekiel	حزقيال
Danial	دانيال
Hosea	هوشع
Joel	يوئيل
Amos	عاموس

Obadiah	عوبديا
Jonah	يونان
Micah	ميخا
Nahum	ناحوم
Habakkuk	حبقوق
Zephoniah	صفينا
Haggai	حجي
Zecharia	زكريا
Malachi	ملاخي

[أسفار العهد الجديد]

بعض الأسماء المشهورة

Mathew	إنجيل متي
Mark	إنجيل مرقس
Luke	إنجيل لوقا
John	إنجيل يوحنا
Actof the Apostles	أعمال الرسل
Romans	الرسالة الى رومية
1. Corinthians	الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس
2. Corinthians	الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس
Galathians	الرسالة إلى أهل غلاطية
Ephesians	الرسالة إلى أهل أفيس

Philippians	الرسالة إلى أهل فيلبي
Colossians	الرسالة إلى أهل كولوسي
	الرسالة الأولى
1. Thessalanians	إلى أهل تسالونيكي
	الرسالة الثانية
2. Thessalanians	إلى أهل تسالونيكي
	الرسالة الأولى
1. Timothy	إلى أهل تيموثاوس
	الرسالة الثانية
2. Timothy	إلى أهل تيموثاوس
Titus	الرسالة إلى تيطس
Philemon	الرسالة إلى فيلمون
Hebrews	الرسالة إلى العبرانيين
James	رسالة يعقوب
1. Peter	رسالة بطرس الأولى
2. Peter	رسالة بطرس الثانية
1. John	رسالة يوحنا الأولى
2. John	رسالة يوحنا الثانية
3. John	رسالة يوحنا الثالثة

Jude	رسالة يهوذا
Revelation	رؤيا يوحنا

بعض الأسماء المشهورة

Adam	آدم
Eve	حواء
Noah	نوح
Abraham	إبراهيم
Ismael	اسماعيل
Isaac	إسحاق
Jacob	يعقوب
Joseph	يوسف
Moses	موسى
Aron	هارون
Elias	إلياس
Elisha, Elijah	اليسع
Jonah	يونس
Lot	لوط

Huud (Heber)	هود
Saleh (Methusaleh)	صالح
Enoch	إدريس
Isaiah (Ezekiel)	ذو الكفل
Zunnun	ذو النون
Luqmaan (Esop)	لقمان
David	داوود
Solomon	سليمان
Job	أيوب
Zachariah	زكريا
John Babtist	يحيى
Mary	مريم
Jesus	عيسى
Jethro	شعيب
Ezra	عزير

المحتوى

مقدمة ٥
صفات الألوهية ١٠
الكتاب المقدس والقرآن الكريم ١٥
النبي عيسى ٢٦
الحساب والخطيئة الأصلية ٣٢
أنبياء الله ٣٩
النبي محمد ٤٦
الخلاصة ٥٢
المراجع العربية ٥٥
المراجع الأجنبية ٥٨
مصطلحات ٦٢
أسفار العهد الجديد ٦٥
بعض الأسماء المشهورة ٦٧
فهرس محتويات الكتاب ٦٩